أبطال ميتيون وحكماء العصر البطولي

الأبطال الميتيون هم ملوك قدماء، بلغوا شهرة تتناسب مع بطولاتهم ومآثرهم أدت إلى دخولهم عالم الأسطورة، وقد تضمنت النصوص القديمة التي وصلتنا عن بلاد الرافدين قصص ملوك أبطال وقصص حكماء عديدين تمكنوا من إنقاذ البشر أو تعليمهم أسس حضارتهم (الزراعة وبناء المدن والحكم)، كما أن بعض هؤلاء بعثوا من خيال الميتوغرافيين الذين ابتدعوا أساطيرهم ورووا سيرتهم وسيرة من بلغوا بحكمتهم وبمعرفتهم قدرة تفوق ما يستطيع الإنسان العادي القيام به، وسوف نستعرض في هذا الفصل بعض ما وصلنا عنهم خلال ما سمِّي بالفترة البطولية حين كان الآلهة يعيشون في مجتمع البشر، كما في السماء وكانوا فاعلين يتدخلون إذا ما لزم الأمر، يتحدث إليهم بشر ممن أخلصوا لهم وثابروا على خدمة معابدهم وكانوا ممن ارتبط اسمهم باسم الإله الذي تعبدوا له.

4-1- حكماء الفترة البطولية

عرفت الفترة البطولية التي أشرنا إليها أعلاه بدايات بناء الحضارة وذلك بعد أن تم خلق البشر وأراد الآلهة إعطاءهم دوراً في بناء تلك الحضارة وذلك بعد تدريبهم وتزويدهم بمعرفة اختصرت الزمن فكان هناك حكماء رافقوا الملكيات الأولى وكان لهم دور تأسيسي في البلاد.

4-1 (آ) حكماء ما بين النهرين:

• أشهر هؤلاء الحكماء هم (الأبكالو) السبعة الذين ورثوا دور إله المعرفة والحكمة ومهارة الصنع (أنكي/ايا) و (الأبكالو) هي التسمية الأكادية المحرّفة عن السومرية التي هي "أب - جال" (AB - GAL) أي الأب الكبير. تعتبر أسطورتهم أنهم أتوا من البحر أو خلقوا في النهر، جسدهم جسد سمكة ولهم تحت رأس السمكة رأس بشري، كان الأبكالو يقضي نهاره مختلطاً بالبشر يعلمهم الكتابة والعلوم والفنون والبناء وأصول المحاكمات... وكل ما من شأنه تمثيل الحياة المتحضرة[1].

[1]- ورد ما وصلنا عنهم في ديوان الأساطير (ك3- ص. 237).

• "أدابا" (Adapa) هو حكيم آخر بلغ من المعرفة والقدرة بحيث تمكن في لحظة غضب منه إلى كسر جناح ريح الجنوب التي قلبت مركبه وحالت دون اصطياده السمك الذي كان يقدمه قرباناً للإله (إيا) واستحق لذلك أن يصعد إلى سماء (آنو) لمحاكمته[1]

• أما الحكيم "إيتانا" (Etana) الذي كان في الوقت نفسه أحد الملوك الميتيين لما بعد الطوفان فورد ذكره في لائحة ملوك سومر التي اعتبرت أن الملكية بعد الطوفان انتقلت إلى مدينة "كيش" (Kish)[2]، و (إيتانا) هو الملك الثاني عشر في هذه اللائحة ويشار إليه بأنه "الراعي الذي صعد إلى السماء".

تقول الأسطورة التي وصلتنا عن (إيتانا) أن هذا الأخير تمكن من عقد صداقة مع نسر كان قد عوقب من قبل إله العدالة (شمش) لأنه خان جارته الحيّة وأكل صغارها أثناء غيابها ولكن (شمش) غفر له بعد ندمه وتوسله إليه فأرسل له (إيتانا) للاعتناء به وإنقاذه ولكن (إيتانا) هو أيضاً كان يتوسل للإله (شمش) لكي يدله على "عشبة مساعدة الحمل" من أجل زوجته لكي تنجب له ذرية أما النسر فاعترافاً منه بجميل (إيتانا) الذي أنقذه يعرض عليه حمله إلى سماء (عشتار) بغية الحصول على العشبة المطلوبة.

تبدأ عملية الصعود ويصف النص الأرض تصغر كلما ارتفع النسر... ولكن إيتانا أراد العودة إلى الأرض وبسبب نقص في اللوحة لا نعلم إذا ما تمكن من الحصول على عشبته ولكن نصاً آخر يعلمنا أن ابن إيتانا حكم من بعده وكان الفضل في ذلك للإلهة "عشتار" (Ishtar).

• عديدون هم الحكماء الذين كانوا دوماً إلى جانب الملوك يقومون بدور الناصح والمستشار وهم المثقفون الذين ساهموا في تقدّم المعرفة الإنسانية، وهم الذين وردت أسماؤهم في لائحة "كبار مثقفي الأزمنة القديمة" ويرتبط عادة اسم الحكماء بالمدينة التي عاشوا فيها، أو بالملك الذي كانوا يمارسون دورهم في بلاطه ونعدد بعضهم فيما يلي:

---

[1]- نشر نص (أدابا) الكامل في ديوان الأساطير (ك2- ص. 477).

[2]- كيش (Kish): المدينة القديمة إلى الشرق من بابل. موقعها الحالي (أحيمير).

- خلال حكم الملك السومري "اينميركار" (Enmerkar)[1] ملك "أوروك" (Uruk) كان الحكيم يدعى "نونجال - بيريجّال" (Nungal - Piriggal) وهو الذي أنزل الإلهة عشتار إلى معبد "الإيانا" (Eanna)[2] وهو أيضاً الذي اخترع القيثارة المعدنية ذات مفاتيح اللازورد كما أنه أغضب الإله "أدد" (Adad) لدرجة جعلت الإله (أدد) يوقف الأمطار والإنبات على الأرض خلال ثلاثة أشهر.

- أما الحكيم "بيريجار -أبسو" (Pirigar - Apsu) الذي عاش في مدينة "إريدو" (Eridu) مدينة الإله "إيا" (Ea) وهو الذي علّق ختمه على سمكة فأغضب الإله (إيا) في (الأبسو) لدرجة أنه عاقبه على عمله.

- والحكيم "لو -نانّا" (Lu - Nanna) وهو الذي يقال عنه حكيم بثلثيه فقط والذي أخرج تنيناً من معبد عشتار "الإينينكار -نينّا" (Enin - Kar - Ninna).

- أخيراً في لائحة تم اكتشافها في الستينيات، ورد أنه خلال حكم "أسرحدون" (Asarhaddon) (680-669) كان الحكيم يدعى "آبا - نينّو - داري" (Aba - Ninnu - Dari) وهو الذي يسميه الآراميون "أحيقار" (Ahiqar)[3] حكيم بلاط نينوى.

يشير العرض أعلاه بأن الحكماء، مالكو المعرفة كانوا يتمتعون بقدرة تفوق قدرة البشر العاديين وذلك وفقاً للمعادلة بأن المعرفة تعني القدرة.

• وبالطبع نحن لا ننسى الرجل التقي الذي أنقذ البشرية من هول طوفان غضب الإله "إنليل" (Enlil) ومقاومة الإله "أنكي- إيا" (Enki/Ea) القريب من البشر للحؤول دون ذلك، أما بطل الطوفان فهو :زيو - سودرا" (Ziu - Sudra) الذي كان على علاقة تعبدية وثيقة مع الإله (أنكي) الذي أبلغه سراً عن قرار إطلاق الطوفان وطلب منه بناء فلك الإنقاذ. أما بطل الطوفان الأكادي فهو "أوت - نافيشتيم" (Ut - Napishtim) ومعناه "الذي بلغ الحياة الأبدية" مكافأة له وكان عليه أن يعيش بعيداً عن البشر وهذا ما جعل البطل جلجامش يجابه جميع الأخطار والمصاعب للوصول إليه وسؤاله عن سر الحياة الأبدية التي توصل إليها.

---

[1]- إينميركار (Enmerkar): حكم حوالي 2750 ق.م.

[2]- الإيانا (Eanna): بعنى بيت السماء معبد عشتار في أوروك.

[3]- أحيقار (Ahiqar): نشرنا حكمته وقصته الكاملة في ديوان الأساطير (ك3- ص. 362-424).

• أما "الفائق الحكمة"[1] وهو بطل المجموعة الأسطورية التي روت قصة البشرية منذ الخليقة وحتى الطوفان هنا أيضاً وفقاً لتسلسل النص فإن "الفائق الحكمة" يدفع الإله (أنكي/إيا) لإنقاذ البشر في كل مرة كان الإله (إنليل) يسلّط عليهم الأوبئة والجفاف وأخيراً الطوفان.

4-1 (ب)حكماء الساحل الكنعاني:

المملكة الوحيدة على الساحل الكنعاني التي تركت لنا نصوصاً أسطورية وبطولية هي مملكة "أوغاريت" (Ugarit) التي استعملت في كتابتها اللوحات الفخارية وكتبت بالأكادية وبالأبجدية الأوغاريتية المسمارية التي روت بواسطتها قصص آلهتها وأبطالها وهي التي عرفتنا على شخصية:

• "دانل" (Danel)[2] وابنه "أقهت" (Aqhat) الذي كان يملك القوس السحرية التي أهداه إياها الصانع الماهر مبدع سلاح "بعل" (Baal) الأوغاريتي[3] وحلي الآلهة وأثاثها. أرادت الإلهة "عناة" (Anat)[4] الحصول على قوس (أقهت) واعدة إياه بأن تجعله "يعدّ السنين مثل بعل" ولكن (أقهت) يرفض عرض (عناة) ويشكك في أقوالها كما يجابهها بقوله "أن لا علاقة لفتاة بقوس صيد مخصصة للرجال" مما يؤدي إلى إغضاب (عناة) ولجوئها إلى أحد المرتزقة لترهيبه ولكن أقهت يُقتل بنتيجة تدخل المرتزق المعتدي وينتج عن ذلك ذبول الزروع وجفاف الأرض، وتحوم النسور حول جثة أقهت وتلتهمها.

نصل هنا إلى دور (دانل) والد أقهت الذي بقدرة بعل يجعل النسور تسقط أمام قدميه "ليبقع كبدها"[5] مفتشاً عن أشلاء أقهت في أحشائها وتعود النسور لتطير في حال غياب الأشلاء في أحشائها ولكنه بعد تكرار العملية يعثر على أشلاء أقهت في أحشاء أم النسور فيستخرجها ويدفن أقهت الذي يعود إلى الحياة كما تعود نضرة

---

[1]- هو (أتر- حسس) ومعناه الفائق الحكمة ورد النص الكامل في ديوان الأساطير (ك2- 275).

[2]- دانل (Danel): ومعناه دينونة الإله (إيل) الكنعاني.

[3]- بعل (Baal) الأوغاريتي: إله العواصف والأمطار الذي يمثل دورة الطبيعة، يقابل (دوموزي) في سومر و(تموز) في الأكادي.

[4]- عناة (Anat): شقيقة الإله بعل ولها علاقة بالعيون والينابيع.

[5]- بمعنى قلبها/ داخلها.

الربيع وبعث (أقهت) كإله ثانوي يماثل هنا في دوره دور الإله بعل الإله الرئيسي في أوغاريت.

أما قدرة دانل على إسقاط النسور للتفتيش عن أحشاء (أقهت) جعلت منه حكيماً يماثل (أدابا) الذي كسر جناح ريح الجنوب في سومر، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً، كما اكتسب (دانل) الكنعاني سمعه وقدرة الحكماء، حتى أن المرويات التوراتية على الرغم من كرهها لكل ماهو كنعاني فقد اعترفت بحكمة (دانل) حتى أن نبيها (حزقيال) (38: 3) حين أراد انتقاد ملك صور بسبب غروره وادعائه قال له: "هل أنت أحكم من دانل!"

• ثم بطريقة غير مباشرة واعتماداً على قصة أيوب التوراتية ذات الأصل البابلي في قصيدة "العادل المعذّب" وذات مسرح الأحداث في المنطقة الحدودية للجزيرة العربية وبلاد (إيدوم) الفلسطينية التي كانت مشهورة بحكمائها ومن بينهم أيوب ومحاوروه الثلاثة وهم:

- إيليفاز التيماني.
- بلدد الشوحي.
- صوفر النعماني.

- كما أن المتدخّل الأخير هو (إيليهو بن بَرَخْ إيل) من عشيرة (رام) وهذه الأسماء هي كنعانية الأصول مثال (دانل) وإن تبنيها من قبل المرويات التوراتية، كما هو مرجح خلال القرن الخامس لما قبل الميلاد كما أن التأثر الآرامي في لغتها لا يخفى على اللغويين .

• وأخيراً فإن كلاً من (آجور) و (ليموئيل) اللذان تنسب إليهما التوراة الأمثال في (30: 1) و (31: 1) تقول عنهما الشروح التوراتية بأنهما كانا "إسماعيليين" وتصنّف أيوب أيضاً على هذا الأساس.

ملاحظة: مما يؤسف له أن الشاطئ الكنعاني عدا مكتشفات مملكة أوغاريت لم يترك لنا وثائق مباشرة عن المنطقة إلا خلال فترة العمارنة التي قدمت لنا المراسلات مع فرعوني مصر أمينوفيس الثالث والرابع خلال القرن الرابع عشر ق.م باستعمال الأكادية المسمارية المكتوبة على لوحات فخارية وما عدا ذلك فمن

الأرجح أنه كان يكتب على أوراق البردي تقليداً لما يستعمل في مصر الفرعونية وبالطبع فإن مناخ الساحل المتوسطي الرطب لم يسمح بالمحافظة على تلك الوثائق.

4-2- ملوك دخلوا عالم الأسطورة

عرفت بلاد ما بين النهرين ملوكاً قدماء ترسّخت سيرهم في التقاليد الشعبية وبلغت شهرتهم أقصى ما يمكن أن يفاخر به حاضر ابتعد عنهم وعن ماض عاشوه، حتى أنهم دخلوا عالم الأسطورة ومنهم من تمّ تأليهه عملاً بمبدأ ما اعتدناه على اعتبار الماضي فترة مثالية كانت أفضل مما كان عليه حاضر الذين ألفوا عنهم ومنهم من ألّهَ ذكرهم كما تسمح بذلك العصور الذهبية التي تصورتها الشعوب ومن الساحل الكنعاني لدينا ملك واحد حفظت لنا مملكة أوغاريت ملحمته وسيرته التي غطت أحداثها كامل الساحل الكنعاني، ونستعرض فيما يلي أخبار هؤلاء الملوك:

4-2 (آ) ·لوجالبندا· (Lugalbanda):

هو الملك الأسطوري وهو في الوقت نفسه والد البطل المعروف (جلجامش).

يعني اسم (لوجالبندا) الملك (ذو العنفوان) وقد ورد اسمه في اللائحة الملكية السومرية بعد اسم الملك "اينمركار" (Enmercar)، وقدرت اللائحة تلك بـ 1200 سنة سنيّ حكمه.

تمّ تأليه (لوجابندا) في النقوش السومرية الأكادية، ووفقاً لما نعرفه عن الملك السومري "شولجي" (Shulgi) الذي حكم في أور بين عامي (2094-2047) ق.م وهو الذي يربط اسمه باسم قرينته : نين - سونا" (Nin - Suna) وهي (نينسون) والدة جلجامش كما يعتبر (شولجي) (لوجالبندا) سيده.

أما "إينيشي - إينيشو" (Inishi - Inishu) وهي ابنة "سين - كاشيد" (Sin - Kashid) ملك (أوروك) وكاهنة الإله (لوجالبندا) ووالدها هو الذي بنى معبداً لـ(لوجالبندا) وقرينته (نينسون) لوجالبندا هو إذن من الملوك المؤلّهين الذين دخلوا عالم الأسطورة كأبطال في عددٍ من الأحداث وصلتنا عنها نصوص أسطورية استعرضنا محتواها في الكتاب الرابع من ديوان الأساطير[1] ومن العناوين المعروفة حوله يمكن ذكر أسطورة:

---

[1]- ديوان الأساطير (ك4- ص. 477-480).

- لوجالبندا ونينسون.
- لوجالبندا ومرضه.
- لوجالبندا مع الطائر "أنزو" (Anzu)[1] وحصار أوروك.

وفي هذه الأسطورة الأخيرة نعلم أن (لوجالبندا) يلتحق بجيش (اينمركار) الذي كان يحاصر مدينة "آراتّا" (Aratta)[2] ثم يتمكن بمعونة الطائر الأسطوري (أنزو) من الوصول إلى أوروك ومعرفة السر الذي يمكن معه التغلب على (أراتّا) وهذا ما تكشفه له الإلهة "إنانّا" (Inanna) سيدة (أوروك) و (آراتّا) مما يسمح (لإينمركار) إخضاع مدينة (آراتّا).

4-2 (ب) "دوموزي" (Dumuzi):

أشارت لائحة ملوك سومر إلى اسم دوموزي مرتين، في المرة الأولى اعتبرت أنه هو الراعي الذي حكم في مدينة "باد - تيبيرا" (Bad - Tibira) 36000 سنة.

أما مدينة (باد - تيبيرا) فهي من مدن ما قبل مدة الطوفان وهي التي لم يحدد مكانها كما لا نعرف شيئاً عن تلك المدينة التي تعود بكل تأكيد إلى الفترة النحاسية - الحجرية (الكالكوليتية). كما تعتبر اللائحة أن مدينة (باد - تيبيرا) خلفت مدينة "إريدو" (Eridu)، مدينة الإله (أنكي).

ومن المفيد التذكير بأن معنى تسمية (باد - تيبيرا) السومرية هو "جدار عاملي التعدين" وقد تكون من بين المواقع الأولى التي عرفت فن التعدين وقد تكون عرفت الشبه أيضاً وحسب لائحة ملوك سومر فإن (دوموزي) هو ثالث ملك حكم في (باد - تيبيرا).

أما المرة الثانية التي ورد فيها اسم (دوموزي) فهو كونه الملك الذي خلف (لوجالبندا) على عرش (أوروك) كما أن مدينته الأصلية هي "كو - آرا" (Ku - Ara) ويعتبر هنا أن حكم مئة سنة كما تعتبر اللائحة أن (جلجامش) هو الذي خلفه على عرش (أوروك).

إن (دوموزي) ما قبل الطوفان الذي تولى عرش (باد - تيبيرا) كما أشرنا أعلاه كان على ما يظهر إلهاً إذ أن الأسطورة تعتبر أن أمه هي "دوتور" (Dutur) وأبوه ملك (باد - تيبيرا).

---

[1]- أنزو (Anzu): طائر أسطوري له قصة مع الإله (انليل) حين سرق منه لوحة الأقدار والتجأ إلى الجبل وكان على البطل نينورتا استعادتها.

[2]- آراتّا (Aratta): على الهضبة الإيرانية وكانت هي أيضاً تتعبد للإلهة (إنانا).

أما أشهر من ارتبط اسمهم باسم دوموزي هم بعد الإلهة "إنانّا" (Inanna) أخته "جيشتينانّا" (Geshtinanna) وهي إلهة الكرمة.

نسجت أساطير عديدة حول (دوموزي) وعلاقته الغرامية بالإلهة (إنانّا) ونزوله إلى العالم السفلي وبعثه مع خضرة الربيع وجميع تلك الأساطير قدمت تفاصيلها وهي عديدة في كل من كتابي ديوان الأساطير الأول والرابع[1] حيث كان دوموزي يلقب "بالراعي" وقد نسجت أجمل أناشيد الحب بين (دوموزي) و (إنانّا) في 15 نشيد نشر جميعها الكتاب الأول من ديوان الأساطير (ص 104-143).

كما أن تلك الأناشيد وتلك العلاقة هي التي أوحت بطقوس الزواج الإلهي ضماناً لتحقيق خصب الطبيعة والبشر والكتاب الرابع من ديوان الأساطير تضمّن جميع القصائد والمرثيات حول موت (دوموزي) وبعثه.

4-2 (ج) "إينتَيمينا" (Entemena):

حكم في مدينة "لغش (Lagash) حوالي 2420 ق.م بعد موت "إيَنـّاتوم" (Eannatum) الذي أخضع مدينة "أومّا" (Umma) وتولى العرش من بعده أخوه (إيناناتوم) دون بريق يذكر، وقد أعلنت مملكة (أومّا) تمردها عليه ويرجح أنه توفي خلال ذلك التمرد، فخلفه ابنه (إينتيمينا) الذي سجّل على مخروط فخاري قصة النزاع بين (لغش) و (أومّا) منذ حكم "أوش" (Ush) في (أومّا) الذي عدّل في الحدود التي رسمها آنفاً "ميسلام" (Meslam) وهو ملك مدينة "كيش" (Kish) عندما كان حاكماً بين (لغش) و (أومّا).

أما الخلاف فكان يتعلق بامتلاك حقل لزراعة الشعير يقع بين البلدين.

ومما يمكن الإشارة إليه أن (إينتيمينا) ترك لنا نقوشاً دلّت على أنه كان ملكاً عمرانياً أقام عدة معابد من أجل الإله "نينجيرسو" (Ningirsu) والإله "أنكي" (Enki) و "إنليل" (Enlil) والإلهة "نانشي" (Nanshe)[2] وبنى قصوراً وأمر بإعداد تماثيل لعدة آلهة.

من مآثر (إينتيمينا) أنه عمد إلى استتباب سيادة النظام في مملكته بعد أن كانت الفوضى قد استقرت فيها وهو الذي:

---

[1]- ذكرت المراجع ضمن النص أعلاه.

[2]- نانشي (Nanshe): إلهة لغش.

"حرر (لغش) وأعاد للأم طفلها
وإلى الطفل أعاد له أمّه".

وفي عهده أصبحت مدينة (لغش) غنية حتى أنه قام ببناء قصر للإله (دوموزي) في مدينة "أوروب" (Urub)[1] وكساه بالذهب، كما أنه وزع في باحة القصر الأمامية الفضة واللازورد وضحى عشرين فداناً وعدداً مماثلاً من الخراف.

كشفت الحفريات الأثرية في مدينة "تللّو - جيرسو" (Tello - Girsu)[2] على وعاء من الفضة عرف بوعاء (إينتيمينا) وهو اليوم في متحف اللوفر، يحمل الوعاء نقوشاً بارزة لأربعة مشاهد تمثل النسر ذا رأس الأسد وحيوانات وحشية: أسد ووعول وعنز برّي، كما أن وعاء آخر يحافظ على نقش بارز لإلهة جالسة على عرش تمسك بيدها اليمنى (قرطاً) من البلح وشعرها الكثيف ينتشر على كتفيها وعلى صدرها، وعلى رأسها تاج يحمل قرون الألوهية، ويعتقد أنها الإلهة نينا" (Nina) إلهة البلح.

4-2 (د) إينميركار:

حكم حوالي 2750 ق.م في مدينة (أوروك) وبقي بطلاً أسطورياً ولم يؤلّه كما لم يبن له أي معبد. تعرفنا آنفاً على دوره في حصار مدينة أراتّا ومعونته للملك (لوجالبندا)[3].

وفي نص يختص به وحده نراه على خلاف مع سيد (آراتّا) من أجل الحفاظ على تمثال (إنانّا) في (أوروك) مطالباً سيد آراتا بالخضوع إلى أوروك، لكن كاهناً من (آراتّا) هو "مشماش" (Mashmash) يقترح أن يجعل بسحره أن تخضع أوروك إلى (آراتّا) ولكنه يفشل وينتهي الأمر بخضوع (آراتّا).

وفي ملحمة ثانية وصلتنا عن (إينميركار) شبه كاملة تتألف من 640 سطر وترتبط بتجميل معبد (إنانّا) في أوروك ولهذه الغاية يطلب (إينميركار) من (آراتّا) إرسال الذهب والفضة والأحجار الكريمة، وبعد تبادل رسائل عديدة بين (إينميركار) وسيد (آراتّا) الرافض ينتهي الأمر بوصول إينميركار إلى غايته.

---

[1]- أوروب (Urub): تابعة لمملكة لغش، موقعها مجهول.

[2]- تللّو- جيرسو (Tello - Girsu): مدينتان قريبتان من مملكة لغش.

[3]- يرجى الرجوع إلى الفقرة 4-2 (أ) أعلاه.

وأهم ما يجب إبرازه في هذا النص هو أن (إينميركار) هو أول ملك يتبادل مع خصمه رسائل مسجّلة على لوحات فخارية ينقلها رسوله في الذهاب والإياب بين المدينتين، يستنتج ذلك مما ورد في النص اعتباراً من السطر 500 وما يليه[1].

2-4 (هـ)الملك الكنعاني كيريت (Keret)[2]:

قدمت لنا النصوص الأوغاريتية قصة ملك لم يحكم في أوغاريت التي حفظت سيرته وسجّلتها مستعملة أبجديتها الخاصة، وذلك الملك هو (كيريت)، مملكته هي (خُبُر) أو (خوبور) وقصته هي التالية:

بعد مصائب عديدة حلّت به وأفقدته جميع أبنائه وبناته وزوجته يصبح كيريت وحيداً وحزيناً ويائساً لا سند له ولا وريث له.

يتضرع كيريت إلى الإله "إيل" (El)[3] بخشوع المؤمن الواثق بإلهه الذي يتراءى له في الحلم مواسياً وطالباً منه التوجه على رأس جيش إلى مملكة (أدم) أو "أودوم" (Udum)[4] حيث سيتزوج من (حورية) "ح ر ي" الفتاة الجميلة ابنة ملك (أودوم).

بعد مسيرة ثلاثة أيام يصل (كيريت) إلى مدينة صور، حيث يزور الإلهة (أثيرة) "أ ث ر ت" وينذر أن يقدم للإلهة وزن حورية ذهباً وفضة إذا ما نجح في الزواج من الفتاة التي كان جمالها يضاهي جمال "عناة" (Anat) و "عشترت" (Achtarat)[5].

يحاصر كيريت مملكة (أودوم) رافضاً الذهب والفضة لفك الحصار ومطالباً بمنحه يد حورية للزواج منها، يتحقق أمله ويعود (بحورية) إلى مملكته ليحصل على بركة الآلهة في أفراحه وبهذه المناسبة يعده الإله (إيل) بأن حورية سوف تلد له ثمانية أبناء وثماني بنات وهكذا تتبدل أحوال المملكة ويسودها الرخاء والسعادة.

---

[1]- ورد النص الكامل في ديوان الأساطير (ك4- ص. 460-476).

[2]- كيريت (Keret): والأوغاريتية تكتب (ك ر ت).

[3]- إيل (El): سيد مجمع الآلهة الكنعانية.

[4]- أودوم (Udum): المملكة القديمة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البحر الميت (جنوب شرقي الأردن الحالي).

[5]- عشترت (Achtarat): إلهة قريبة من عناة ترافقها في المعارك وفي حملات الصيد.

إلا أنه بعد مضي سبع سنوات تأتي (أثيرة) إلهة صور لزيارة الملك مذكرة إياه بالنذر الذي قطعه على نفسه، يعني ذلك أن كيريت نسي نذره!

وهكذا ينقلنا النص بعد ذلك إلى خبر إصابة كيريت بمرض عضال ويرافق مرضه القحط والمجاعة في المملكة، ثم ينتقل النص إلى ذكر تقدمة تقرباً من الإله "بعل" (Baal)، يتدخل الإله (إيل) من جديد فيخلق آلهة يطلق عليها تسمية (شعتقت)[1] وهكذا فإن (إيل) يشفيه من مرضه ويعود لاعتلاء عرشه ولكن أحد أبنائه يدخل عليه مطالباً إياه بالتنازل عن العرش لمصلحته؛ لأنه كما يدعي الابن لم يعد قادراً على ممارسة الحكم، لكن كيريت يرفض بشدة مسلطاً على الابن غضب الإله (حورون) وانتقام عشترت.

يقف النص عند هذا الحد وهناك افتراضات عديدة لتتمة له لم تصلنا كما أن هناك تأويلات عديدة لمغزى هذا النص وقد نعطيه عنوان "الملك الذي نسي نذره" ولا بد من الملاحظة أننا في عصر بطولي حيث كانت الآلهة تعيش مع البشر وتشاركهم حياتهم.

وإن حوادث هذا النص تقع بين مملكتين إحداهما (أودوم) في أقصى جنوب الساحل الكنعاني والثانية هي مملكة (كيريت) (خوبور؟) التي تقع على مسيرة ثلاثة أيام من صور وخمسة أيام أو سبعة من (أودوم) كما أن العثور على هذا النص في مملكة أوغاريت يدل على الأهمية التي كان يتمتع بها على الساحل الكنعاني.

4-3- جلجامش وأنكيدو

جلجامش وأنكيدو هما رمز الشباب المتحمس للتغلب على الصعاب وهما الصديقان الوفيان اللذان خاضا معاً جميع المعارك والمغامرات.

صحيح أن مؤلف أو مؤلفي ملحمتهما لهم الفضل في تعريفنا على شخصية هذين البطلين ونحن نشير إليهما هنا وكأنهما عاشا فعلاً ونفذا أعمالهما كما سردت ذلك وقائع ملحمة جلجامش الشهيرة وهذا دليل على قوة الخلق التي تميزت به الملحمة، والفضل في ذلك يعود طبعاً للحكمة والروح الشعبية التي هي وراء ابتداع شخصية البطلين.

---

[1]- من (عتق) باستعمال الصيغة الأوغاريتية (شغعَل) للتشديد على الفعل.

أنكيدو إنسان تدرّج في إنسانيته حتى أصبح صديقاً ورفيقاً أميناً يحاول حماية رفيقه حتى أن "نينسون" (Ninsun)[1] والدة جلجامش كلفته بإعادته إليها سالماً متصورة المصاعب والأخطار التي التي قرّرا خوضها والانتصار عليها حين عمد إلى الذهاب إلى غابة الأرز.

أما الموت الذي أصاب (أنكيدو) الإنسان، وهو مصير كل بشري مثال أنكيدو وعلى الرغم من كون جلجامش بثلثيه إلهاً وبالثلث الآخر إنساناً فإنه يلتجأ إلى القلق والخوف من مصير الموت مما جعله يثير أمامنا كل ما هو مرتبط بذلك التساؤل الفلسفي محاولاً رفض الموت ولو أنه فشل في مسعاه إلا أن الملحمة علمتنا بأن الآلهة:

"عندما خلقت البشر جعلت الموت مصيرهم
واحتفظت لنفسها بالحياة الأبدية".

كما علمتنا بعد عودة جلجامش إلى مدينة (أوروك) متأملاً أسوارها وضواحيها ومبتهجاً بالعودة إليها، علمتنا بأن عودته لملكيته الأرضية على (أوروك) وخدمة شعبه هي خلود لاسمه ويمكننا أن نقول بأنه نجح في ذلك لأننا نذكره اليوم ونروي سيرته.

اعتبر (جلجامش) وفق "لائحة سومر" الملك الذي اقترن اسمه بمدينة (أوروك) حوالي 2700 ق.م وقد جعلته تلك اللائحة في المرتبة الرابعة بعد حكم (إينميركار) مؤسس (أوروك) و (لوجالبندا) والد جلجامش وأتى بعده (دوموزي) الملك الراعي الذي اشتهر بعلاقته مع الإلهة (إنانّا).

حكم جلجامش وفقاً "للائحة ملوك سومر" مدة 126 سنة وتعتبره اللائحة ابناً للإلهة (نينسون) وهي قرينة لوجالبندا وعلى هذا الأساس اعتبر أن ثلثيه إله والثلث الآخر إنسان، وعلى إناء نذري قدمه الملك "أورنامّو" (Ur - Nammu)[2] (2112-2095) وهو ملك (أور) يتوجه لسيده الإلهي (جلجامش).

مما جعل الباحثين يتساءلون إذا ما كان جلجامش ملكاً بشرياً تم تأليهه خلال الفترة الأكادية، أم كان على العكس إلهاً اعتبره ملك أور حامياً له وذلك قبل تأليف "لائحة ملوك سومر" التي تعود إلى فترة حكم آخر ملوك "إيسين"

---

[1]- نينسون (Ninsun): ومعناه البقرة الوحشية.

[2]- أورنامّو (Ur - Nammu): سوف يرد اسمه كملك مشرع في الفصل الخامس.

(Isin)[1] وهـو "دامـق - إيليشـو" (Dameq - Ilishu) (1794-1816) قبـل انتصـار حمورابي على تلك المملكة.

وبالإضافة إلى ذلك نحن نعلم أن جلجامش أصبح بعد موته قاضياً في العالم السفلي وهذا ما يدعم فكرة تأليهه ولدينا نص حول الدور الذي كلّف به في العالم السفلي:

"(جلجامش) الملك الأعظم، قاضي "الأنوناكي" (Annunaki)[2]، الأمير
الحصيف [...] الذي يتفحّص مناطق العالم
حاكم العالم السفلي، سيد [العالم] السفلي،
أنت تقيم في العالم السفلي وتصدر الأحكام
النهائية... ينحني أمامك الملوك والحكام والأمراء
كلّفك الإله "شمش" (Shamash) بالأحكام والقرارات
أنت تراقب التقدمات التي خصصت لهم
وتبلّغ قراراتك".

ومـا يهمنـا هنـا هـو محتـوى مـا تضـمنته الأسـاطير حـول (جلجـامش) ورفيقـه أنكيـدو وبالإضـافة إلى ملحمتـه الشـهيرة ذات الأصـول السـومرية والـتي اسـتكملت خلال الفترة البابلية القديمة والفترة والآشورية.

بعد لقاء (أنكيدو) مصيره البشري ورفض (جلجامش) دفنه في بادئ الأمر ثم أذعن لذلك ولكنه شُغل بقلقٍ هو معرفة مصير ما بعد الموت.

وعلى هـذا الأسـاس وصلنا نـص اسـتدعاء شـبح (أنكيـدو) في العـالم السـفلي واستجوابه من قبل جلجامش عن ذلك العالم!

فيعلمنـا شـبح أنكيـدو أن الـذي أنجـب عـدداً مـن الأطفـال يكـون وضـعه في العالم السفلي أفضل ممن لم ينجب أطفالاً وأفضل حالة عرفها أنكيدو في العـالم هي التي تسمح بالاستماع إلى الموسيقا مع الآلهة[1].

---

[1]- إيسين (Isin): مدينة الإلهة (جوبلا) وهي سيدة إيسين.

[2]- الأنوناكي (Annunaki): مجموعة آلهة السماء أبناء الإله آنو إله السماء.

نتابع فيما يلي بعض المعلومات الإضافية عن جلجامش وأنكيدو استكمالاً لهذا العرض.

3-4 (آ)جلجامش والحرب:

بمناسبة بروز أزمة نفوذ بين مملكة أوروك مقر جلجامش ومملكة "كيش" (Kish) أدت إلى حصار (أوروك) من قبل "آجا" (Agga)[2] سيد (كيش)، تروي أسطورة سومرية بأن الأزمة تلك انتهت بأسر (آجا) ملك كيش واعترافه بتفوق (أوروك) وفي موقف حلمٍ وحكمة أطلق جلجامش سراح (آجا) الذي عاد إلى مملكته وحال ذلك دون إسالة الدماء بنتيجة تلك الأزمة وذلك الحصار.

هكذا كانت تتصرف ممالك سومر، خلال ما عرف بالفترة البطولية حين كان يتم حل الخلافات بين الممالك بلقاء بطلين يختار كل طرف بطله ويحقق الغالب النصر لمملكته، وهكذا وبكل بساطة فإن تلك الفترة كانت مثالية وإنسانية تتحاشى العنف ولكنها مع الأسف لم تدم وتطورت الحرب وتطورت أسلحتها، فأصبحت الحروب جماعية، تزج في أتون المعارك آلاف البشر وتابعت تطورها فأصبحت اليوم تلقي كيد نيرانها من السماء أو من وراء ستر الفولاذ تهرس وتدمر كل شيء، المسلح والأعزل وتتحاشى اللقاء.

يمكن للقارئ أن يعود إلى النص الكامل لقصة (جلجامش) مع ملك (كيش) في ديوان الأساطير[3] ومن المفيد الاطلاع على فصل الحرب والدمار في الكتاب نفسه[4].

3-4 (ب) جلجامش واتخاذ القرار:

على الرغم من أن جلجامش في عنفوان شبابه "لم يترك فتاة لأبيها" كما روت عنه ملحمته، إلا أنه لم يكن ملكاً استبدادياً ينفرد في اتخاذ القرار ويفرض آراءَه

---

[1]- يدل ذلك على مدى تقدير ما بين النهرين للموسيقا بجعلها من عناصر نوع من النعيم في العالم السفلي.

[2]- آجا (Agga): هو ملك كيش، سيد كيش.

[3]- (ك4- ص. 482).

[4]- (ك4- ص. 446-539).

على شعبه بل كان يستشير ممثلي الشعب في ديمقراطية يمكن تقدير توفرها في تلك الفترة السومرية التي تعود إلى بداية الألف الثالث لما قبل الميلاد.

هكذا حين كان الأمر يتعلق بمصير المملكة، بمناسبة خلاف مع مملكة مجاورة توجب اتخاذ قرار إعلان حرب، كان (جلجامش) يستشير أولاً "مجلس الشيوخ" وهو مجلس القدماء الذين خبرتهم الحياة ويعرفون معنى التعقل وعدم الانفعال.

ثم يستشير بعد ذلك مجلس الشباب، الذي في حال إقرار الحرب سيكونون أداة حسم النزاع وهذا ما يتضح من قضية خلافه مع سيد (كيش) التي لخصنا محتواها في الفقرة 4-3 (آ) السابقة وكان خلاف المملكتين على مأخذ للصلصال يقع بينهما.

أما في الملحمة الشهيرة التي حملت اسمه، نجد أيضاً (جلجامش) قبل اتخاذه قرار الذهاب إلى غابة الأرز بغية التخلص من "همبابا" حارس الغابة بصحبة (أنكيدو) رفيق مغامراته، فإنه هنا أيضاً يتوجه إلى شيوخ المملكة وهم مجلس قدمائها، يعلن أمامهم عن نيته ونظراً لخطورة المهمة فإن الشيوخ يحاولون ثنيه عن قراره، ولكن مجلس الشباب يتحمس للفكرة ويباركها ولكن (جلجامش) لا يكتفي بذلك فيذهب مع (أنكيدو) لإعلام أمه نينسون الإلهة لتبارك مهمته وعلى الرغم من تخوف (نينسون) فإنها توصي أنكيدو بالسهر على حياة ابنها وإعادته سالماً إليها وتجدر الإشارة أن (جلجامش) أراد من وراء نجاحه في تلك المهمة الخطيرة، أراد أن "يجعل لنفسه اسماً".

كان "همبابا" حارس غابة الأرز مكلفاً من قبل الإله (إنليل) سيد مجمع الآلهة بحماية أشجار الغابة المقدسة، وقد يعني القضاء على (همبابا)، إزالة صفة القداسة عن الغابة والبدء بقطع الأشجار وتزويد معابد (أوروك) بخشبها الذي كانت تحتاج إليه وعلى الرغم من قطع أنكيدو أجمل شجرة أرز لصنع بوابة لمعبد إنليل فإنه يُعاقب على فعله، فيمرض ويموت. يستنتج من موت (أنكيدو) أن البطلين كان عليهما استئذان (إنليل) بقطع الأشجار وليس بالقضاء على حارس الغابة!؟

أدى موت أنكيدو إلى جعل جلجامش يحاول سبر كنه الحياة والموت ويسعى إلى كشف سر الحياة الأبدية.

3-4 (ج) جلجامش والحياة الأبدية:

أشرنا من خلال تقديم الفقرة (4-3) إلى قلق (جلجامش) وسعيه لاقتناص سر الحياة الأبدية، لذلك قرر الوصول إلى من توصل إليها بعد إنقاذه البشرية من الطوفان المدمر وكان عليه من أجل ذلك اجتياز مياه الموت للتوصل إلى جد البشرية الذي نجا من الطوفان ومنحته الآلهة حياة أبدية في عالم ليس عالم البشر وكأنه يعيش ما وراء الطبيعة ولا يمكن لإنسان عادي الوصول إليه ولكن الملحمة التي أرادت أن يصل إليه البطل (جلجامش) بعد كل ما تكبد من عناء وسمع من آراء تيئيس (سيدوري)، كان لتعليم جلجامش بأن المناسبة الوحيدة التي استفاد منها منقذ البشرية، وفي ذلك مصلحة الآلهة، بدلالة اتخاذ القرار بأن ذلك لن يتكرر ويجب أن يكون العقاب فردياً للمرتكب وليس جماعياً وتعلّم جلجامش بعد لقائه ذاك أن تلك المناسبة لن تتكرر فعاد إلى مملكته وخلّد اسمه في خدمة شعبه، شعب (أوروك) (نشر النص الكامل لملحمة جلجامش في ديوان الأساطير: الكتاب الرابع).